

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/٢/٥م

في مسجد مبارك، إسلام آباد تلفورد بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لا يزال ذكر سيدنا عثمان رضي الله عنه مستمراً، وأذكر بعض الأمور عن الغزوات التي اشترك فيها، وإحداها غزوة ذات الرقاع. خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجد ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان في أربعمائة من المسلمين، وقيل في سبعمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقيل أبا ذر الغفاري. بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع من نخل، فكان هناك جمع منهم مستعد لمواجهة النبي صلى الله عليه وسلم فتواجه الجيشان إلا أنه لم يكن هناك قتال، وخاف الناس من بعضهم البعض، وفي هذه الغزوة صلى المسلمون صلاة الخوف للمرة الأولى.

وقد ورد عن سبب تسمية هذه الغزوة "ذات الرقاع" عدة آراء، منها: لأن الصحابة رقعوا فيها راياتهم. ويقال بأن شجرة أو جبلا بذلك الموضع يقال له ذات الرقاع. وقد ورد في رواية في صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَنَقَبَتْ أَقْدَامُنَا، (ليس المقصود أنه لم يكن في الغزوة كلها إلا ستة أشخاص، إنما كانوا هؤلاء الستة المذكورين يتعاقبون على بعير واحد) وَنَقَبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ فُسِمِيَتْ غَزْوَةٌ ذَاتِ الرَّقَاعِ (أي ذات الخرق) لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. (البخاري، كتاب المغازي)

وهنا أقرأ هذه الملاحظة أيضاً التي كتبها خلية البحث، وهي في مكانها، أن كتب التاريخ والسير تذكر غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة، ولكن الإمام البخاري عدّها بعد غزوة خيبر، ذلك لأن أبا موسى الأشعري شهدها وكان قد أسلم بعد غزوة خيبر. فالأغلب أنها وقعت في سنة ٧ هـ.

ومن ضمن الروايات عن فتح مكة -الذي حدث في العام الثامن للهجرة- رواية مفصلة وردت في سنن النسائي وقد تضمنت تفصيل الأفراد الذين صدر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم.

عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرًا وَأَمْرَاتَيْنِ وَقَالَ: "اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعد بن أبي السرح". فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ فَأَدْرَكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَرِيثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدُ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشْبَهُ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صَبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عَكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: اأَخْلَصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عَكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْجِنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يَنْجِنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفْوًا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ،

(أما الرواية المشهورة عن هذه الواقعة فهي أن زوجته لحقته قبل ركوبه في السفينة فأفنعته وبالتالي أرجعته، وستأتي هذه الرواية أيضا لاحقا. على أية حال هذا ما ورد في رواية سنن النسائي) وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعُ عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَظَرَ إِلَيْهِ، ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَيَّ هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ" فَقَالُوا: وَمَا يَدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍِّّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنٌ"

وردت هذه الرواية في سنن أبي داود أيضا، كما وردت فيه رواية أخرى غير أنها تخلو من ذكر قتل أبي السرح. فقد ورد في هذه الرواية عن ابن عباس قال: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَازَلَهُ الشَّيْطَانُ فَحَقَّقَ بِالْكَفَّارِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْتُلَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَاسْتَجَارَ لَهُ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَأَجَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أما بالنسبة إلى قول النبي ﷺ عن قتله أو سؤاله: لماذا لم يقتله أحد، أي ما ورد في إحدى الروايات أن النبي ﷺ قال للصحابة لماذا لم يقتله أحد حيث رأيتني كففت يدي عن بيعته، فقد ورد توضيح عن هذا القول بأن فيه نظراً، لأنه كان بإمكان النبي ﷺ أن يأمر بقتله إن كان يريد أن يمضي أمره بقتله وعدم أخذ بيعته، لكونه ﷺ فاتحاً وحاكماً للدولة. وكان قرار قتله مبنياً على العدل. وعليه فمن الممكن أن يكون رأي أحد الرواة قد دخل في هذه الرواية. وزد على ذلك أن هذه الرواية غير موجودة في البخاري ومسلم، وقد وردت رواية بهذا المضمون في "أبو داود" كما مر ولا يوجد فيها ذكر القتل. يذكر المصلح الموعود ﷺ هذه الرواية في تفسيره لآية الخامسة عشرة من سورة "المؤمنون" فيقول:

وهناك واقعة تاريخية تتعلق بهذه الآية يجدر ذكرها هنا. كان ثمة كاتب لرسول الله ﷺ اسمه عبد الله بن أبي السرح، وكلما نزل على النبي ﷺ شيء من الوحي دعاه وأملاه عليه. وذات يوم كان النبي ﷺ يملئ عليه هذه الآيات، فلما بلغ قول الله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال الكاتب من تلقائه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فقال له النبي ﷺ اكتبها أيضاً فقد نزلت عليّ في الوحي ذاته. ولم يفكر هذا الشقي أن هذه الجملة نتيجة منطقية وطبيعية للآيات السابقة. إنما ظن أن محمداً (ﷺ) لما سمعها من فمه عدّها من عند نفسه آية قرآنية؛ وهذا يعني أنه يخلتق القرآن كله من عنده، معاذ الله. فارتد الكاتب وذهب إلى مكة. ولدى فتح مكة كان عبد الله هذا بين أناس أمر النبي ﷺ بقتلهم حيثما وجدوا. ولكن عثمان رضي الله عنه أجاره، فظل محتفياً في بيته ثلاثة أيام، ثم جاء به عثمان ذات يوم إلى النبي ﷺ وهو يأخذ البيعة من بعض أهل مكة، والتمس منه ﷺ أن يقبل منه بيعته. فتردد النبي ﷺ أول الأمر، ثم قبل بيعته، وهكذا أسلم عبد الله بن أبي سرح ثانية.

وأما ما ورد من واقعة إسلام عكرمة بن أبي جهل في رواية سنن النسائي فقد وردت تفاصيلها مختلفة قليلة في كتب السيرة كما ذكرت، حيث ورد أن عكرمة بن أبي جهل كان من بين أولئك الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة. كان عكرمة وأبوه يؤذيان النبي ﷺ ويضطهدان المسلمين. فلما علم أن النبي ﷺ أهدر دمه هرب إلى اليمن، فلحقته زوجته وكانت قد أسلمت فوجدته عند ساحل البحر. فأدركته حين كان ينوي ركوب السفينة، وفي رواية أنه كان قد ركب فيها، فمنعته من ذلك قائلة: يَا ابْنَ عَمِّ جِئْتِكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصِلِ النَّاسِ وَأَبْرَ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ لَا تُهْلِكُ نَفْسَكَ. إِنِّي قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ مَعَهَا وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ.

وفي رواية أن عكرمة حين وصل إلى النبي ﷺ قال يَا مُحَمَّدُ إِنَّ زَوْجَتِي أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ أَمَنْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقْتَ، فَأَنْتَ آمِنٌ، فَقَالَ عَكْرِمَةُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ طَأَّأَ رَأْسَهُ خَجَلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ إِذَا اسْتَطَعْتُ. فَقَالَ عَكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عِدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَكْرِمَةَ كُلِّ عِدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ قَالَ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ ارْتَكَبَهَا. ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَحًا وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ وَقَالَ مَرْحَبًا بِمَنْ جَاءَنَا مِنْ مَوْمِنًا مَهَاجِرًا. وفيما بعد كان عكرمة يعدُّ من أجلة الصحابة.

فبإسلام عكرمة تحققت نبوءة النبي ﷺ التي ذكرها للصحابة أنه ﷺ رأى نفسه في الرؤيا أنه في الجنة، ورأى هناك عنقوداً من العنب، فأعجب به كثيراً، فلما سأل لمن هذا؟ قيل له هو لأبي جهل. فشقق

ذلك عليه ففرع، وقال في نفسه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، فكيف هذا العنب لأبي جهل! فلما أسلم عكرمة فرح به وأول الرؤيا أن المراد بعنقود العنب كان عكرمة.

أما الخدمة المالية التي وفق لها سيدنا عثمان لإعداد الجيش في غزوة تبوك التي كانت في رجب من العام التاسع الهجري، ويقال لها جيش العسرة أيضا، نجد ذكرها كالتالي:

كان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله، هذه مائة بعير بأقتابها وأحلاسها. فحين حثَّ النبي ﷺ مرة أخرى نظرا للمتطلبات هذه الغزوة جهز عثمان مائة بعير أخرى بأقتابها وأحلاسها فقدمها للنبي ﷺ، فلما حثَّ النبي مرة ثالثة قدم له ﷺ سيدنا عثمان ﷺ مرة ثالثة مائة بعير بأقتابها وأحلاسها، فلما نزل النبي من المنبر قال: لا يضر عثمان ما عمل بعدها. لا يضر عثمان ما عمل بعدها. وإضافة إلى ذلك قدم سيدنا عثمان للنبي ﷺ مائتي أوقية من ذهب. وفي رواية أخرى أن سيدنا عثمان جاء إلى النبي ﷺ فألقى في حجره ألف دينار فظل النبي ﷺ يقلبها وقال ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم. وفي رواية أن سيدنا عثمان قدم يومذاك عشرة آلاف دينار فدعا له النبي ﷺ قائلا: غفر الله لك يا عثمان ما أسررتَ وما أعلنتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها. وفي رواية أن سيدنا عثمان قدم لتجهيز ذلك الجيش ألف بعير وسبعين فرسا، وفي رواية أن النبي ﷺ قال له آنذاك: غفر الله لك يا عثمان ما أسررتَ وما أعلنتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها. وفي رواية أنه ﷺ قد دعا لعثمان قائلا: اللهم أرضَ عن عثمانَ فإني عنه راضٍ.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ لقد باع الصحابة أحيانا أثاث بيتهم لتوفير نفقات الجيش، ونرى أيضا أنهم أحيانا باعوا عقارهم لينفقوا على الآخرين وسدوا حاجاتهم كلها. فذات يوم خرج النبي ﷺ وقال إن جيشنا يوشك أن يخرج إلى مهمة، ولا يملك المؤمنون شيئا، فهل فيكم من ينال الثواب؟ فقام سيدنا عثمان ﷺ فقدم لنفقات المسلمين المبلغ الذي كان قد جمعه كله، فقال النبي ﷺ: قد اشترى عثمان الجنة.

مثل ذلك كان بئرُ تباع وكان المسلمون يعانون من أجل الماء، فقال النبي ﷺ هل ينال أحدكم الثواب؟ فقال سيدنا عثمان ﷺ لبيك يا رسول الله. فاشترى تلك البئر فوقفها للمسلمين. فقال النبي ﷺ مرة أخرى إن عثمان قد اشترى الجنة، ومثل ذلك في مناسبة أخرى استخدم النبي ﷺ هذه الكلمات بحق سيدنا عثمان ﷺ. باختصار قد قال النبي في ثلاثة مواضع بحق عثمان ﷺ أنه اشترى الجنة. يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضا أن رسول الله ﷺ قال بحق سيدنا عثمان ﷺ ثلاث مرات أنه قد اشترى الجنة وأنه من أهل الجنة. وفي يوم صلح الحديبية حين بايع النبي ﷺ المسلمون من جديد ولم

يكن عثمان رضي الله عنه حاضراً حينئذ عنده، فوضع عليه السلام يده اليسرى على يده اليمنى الذي يأخذ بها البيعة وقال هذه يد عثمان أضعها نيابة عنه. وعدَّ يده يد عثمان رضي الله عنه، وفي موضع آخر قال: يَا عَثْمَانَ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَقْمِصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَ الْمَنَافِقُونَ عَلَيَّ خَلَعَهُ فَلَا تَخْلَعُهُ لَهُمْ.

قال المصلح الموعود رضي الله عنه: لقد أمر محمد رسول الله عليه السلام عثمان رضي الله عنه ألا يخلع هذا القميص، وأن الذين يطالبونك بخلعه يكونون منافقين. لقد تبين من ذلك أنهم كانوا منافقين بغض النظر عمّن كانوا، لأن النبي عليه السلام كان قد أنبأ بذلك سلفاً.

لقد ذكر الخليفة الثالث للمسيح الموعود -رحمه الله- تضحية عثمان رضي الله عنه فقال: مرة كانت هناك حاجة إلى المال من أجل الحرب، فعرض النبي عليه السلام هذه الحاجة المُلحَّة أمام الصحابة، ودعاهم إلى التضحية المالية، وكانت النتيجة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحضر جميع ماله وجاء عمر الفاروق رضي الله عنه بنصف ماله، وقال عثمان رضي الله عنه: لو قبلتم لتحملت جميع النفقات لعشرة آلاف صحابي، وإضافة إلى ذلك فإنه قدّم ألف جمل وسبعين فرساً.

ماذا كان دور عثمان رضي الله عنه في عهد أبي بكر رضي الله عنه وماذا كانت مكانته في هذا العهد، وكيف كان أبو بكر رضي الله عنه يحترمه ويعطيه مقامه الذي يستحق؟ كان عثمان في خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه من أولئك الصحابة وأهل الشورى الذين يُستشارون في أهم القضايا.

حين واجه أبو بكر رضي الله عنه فتنة الردة وقضى عليها، أراد غزو الروم وإرسال المجاهدين إلى جهات مختلفة، فاستشار الناس في ذلك، فأعطى الصحابة مشورتهم ولكن أبا بكر طلب مزيداً من المشورة، فقال عثمان رضي الله عنه إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين، (أي لا يمكن إساءة الظن بك) فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فأمضه فإننا لا نخالفك ولا نتهمك، ثم تكلم علي رضي الله عنه وبعده قام أبو بكر رضي الله عنه في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه عليه السلام ثم قال: أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام. (مختصر تاريخ دمشق)

وشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحابه فيمن يبعث إلى البحرين بعد إبان بن سعيد رضي الله عنه، فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله عليه السلام إليهم فقدم عليه بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلادهم يعني العلاء الحضرمي فأجمع أبو بكر بعثة العلاء بن الحضرمي إلى البحرين. (طبقات

ابن سعد)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فاجتمع الناس إليه فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله الكريم عنكم، قال: فما لبثنا أن جاء أجراء عثمان رضي الله عنه من الشام، فجاءته مائة راحلة بُرًّا -أو قال طعاما- فاجتمع الناس إلى باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان رضي الله عنه في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط؛ السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاما، فبعنا حتى نوسع على فقراء المسلمين، فقال عثمان رضي الله عنه: حبا وكرامة ادخلوا فاشترؤا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، قال عثمان: قد زادني، قالوا: للعشرة خمسة عشر، قال عثمان: قد زادني، قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله تعالى بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين. أي أعطي الطعام كله للفقراء ولن آخذ أي ثمن له. قال ابن عباس: فرأيت من ليلتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام (أي من الليلة التي وُزع فيها هذا الطعام صدقةً) وهو على برذون أبلق (فرس غير عربي جسيم) عليه حُلَّةٌ من نور، في رجليه نعلان من نور، ويده قصبه من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، قد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك فأين تبادر؟ قال: "يا ابن عباس، إن عثمان قد تصدق بصدقة، وإن الله قد قبلها منه وزوجه عروسا في الجنة، وقد دُعينا إلى عرسه." (سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لعلي محمد الصلابي ص ٥١ دار المعرفة بيروت ٢٠٠٦)

والآن، أبين بعض الأمور عن دور عثمان رضي الله عنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة استشار وجوه الصحابة في عطائه من بيت مال المسلمين، فقال له عثمان: كل وأطعم. أي سدد حاجتك وحاجات الناس ولا داعي للتحديد. (سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لعلي محمد الصلابي ص ٥٣ دار المعرفة بيروت ٢٠٠٦)

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر رضي الله عنه أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان رضي الله عنه: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، (أي يمكن أن يأخذ البعض مرتين لذا لا بد من التدوين) فأقر عمر رضي الله عنه رأي عثمان رضي الله عنه، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين. (وبدأت مساعدة الجميع بحسبها.) (سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لعلي محمد الصلابي ص ٥٤ دار المعرفة بيروت ٢٠٠٦)

هناك نبوءة تنبأ بها رسول الله ﷺ عن خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد سبق أن في هذه النبوءة إشارة إلى أن الله تعالى سيلبسه قميصا وأن المنافقين سيحاولون نزعها عنه.

عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال ذات يوم: "من رأى منكم رؤيا؟" فقال رجل: أنا. رأيت كأن ميزانا دلي من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر بعمر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ. (أي لم يبد رسول الله ﷺ رضاه على الرؤيا بل أبدى عدم رضاه)

عن جابر بن عبد الله أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر. قال جابر فلما قمنا من عند النبي ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ وأما ما ذكر رسول الله ﷺ من نيط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر، الذي بعث الله به نبيه ﷺ. (أي أمر الدين)

وعن سمرة بن جندب أن رجلا قال يا رسول الله إني رأيت كأن دلوأ أدلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضرع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح منها عليه شيء فشرب حتى تضرع ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت. (هذه أيضا إشارة إلى تولي هؤلاء الكرام الخلافة بحسب الترتيب المذكور في الرواية).

أما عن مجلس الشورى الذي عقد بعد انتخاب عثمان رضي الله عنه فيقول عنه المسور بن مخرمة: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ صَحِيحٌ (أي بعد أن تعافى من الجروح التي أصيب بها في محاولة اغتياله) يُسْأَلُ أَنْ يَسْتَخْلَفَ فِيأَبِي. فَصَعِدَ يَوْمَ الْمُنْبَرِ فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ وَقَالَ: إِنْ مِتُّ فَأَمْرُكُمْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ السِّتَّةُ الَّذِينَ فَارَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَنَظِيرُهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَنَظِيرُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَنَظِيرُهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ. أَلَا وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحُكْمِ وَالْعَدْلِ فِي الْقَسْمِ.

عن أبي جعفر قال: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَصْحَابِ الشُّورَى: تَشَاوَرُوا فِي أَمْرِكُمْ فَإِنْ كَانَ اثْنَانِ وَاثْنَانِ فَارْجِعُوا فِي الشُّورَى. وَإِنْ كَانَ أَرْبَعَةٌ وَاثْنَانِ فَخُذُوا صِنْفَ الْأَكْثَرِ.

عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: وَإِنْ اجْتَمَعَ رَأْيُ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثَةٌ فَاتَّبِعُوا صِنْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا. قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ أَنَّ عُمَرَ حِينَ طُعِنَ قَالَ: لِيُصَلِّ لَكُمْ صَهِيْبٌ ثَلَاثًا وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ. فَمَنْ بَعَلَ أَمْرَكُمْ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ. يَعْنِي مَنْ خَالَفَكُمْ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أُرْسِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِسَاعَةٍ فَقَالَ: يَا أَبَا طَلْحَةَ كُنْ فِي خَمْسِينَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْآنَ مَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَصْحَابِ الشُّورَى فَلَا تَتْرُكْهُمْ يَمُضِي الْيَوْمَ الثَّلَاثُ حَتَّى يُؤْمَرُوا أَحَدَهُمْ. اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَيْهِمْ.

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: وَافَى أَبُو طَلْحَةَ فِي أَصْحَابِهِ سَاعَةَ قَبْرِ عُمَرَ فَلَزِمَ أَصْحَابَ الشُّورَى. فَلَمَّا جَعَلُوا أَمْرَهُمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَخْتَارُ لَهُمْ مِنْهُمْ لَزِمَ أَبُو طَلْحَةَ بَابَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى بَايَعَ عُثْمَانَ.

عَنْ سَلْمَةَ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ لِعُثْمَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ هِنِيِّ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَنَا رَأَيْتُ عَلِيًّا بَايَعَ عُثْمَانَ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ تَتَابَعَتِ النَّاسُ فَبَايَعُوا.

لَقَدْ ذُكِرَتْ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ نِصَائِحَ أَدْلَى بِهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضِهِ الْأَخِيرِ لِلْخَلِيفَةِ الَّذِي سَيَأْتِي بَعْدَهُ وَلِمَجْلِسِ الشُّورَى، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لَهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ أَحَدًا بَعْدَهُ، فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ... فَسَمِيَ عُثْمَانُ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَقَالَ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْخِلَافَةِ نَصِيبٌ. لَقَدْ ذُكِرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مِنْ قَبْلِ أَيْضًا وَسَأَذْكَرُهَا هُنَا أَيْضًا بِإِجَازٍ.

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ مِنْكُمْ فَقَالَ الزُّبَيْرُ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَيَّ فَقَالَ طَلْحَةُ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ وَقَالَ سَعْدٌ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّكُمْ تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَجَعَلَهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ. لِيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَاسْكُتَ الشَّيْخَانُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَفْتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ (أَي فَوْضُوا رِئَاسَةَ اللَّجْنَةِ إِلَيَّ) وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلَ عَنْ أَفْضَلِكُمْ. قَالَا نَعَمْ. (أَي قَالَ أَوْلَا أَنْ فَوْضُوا الرِّئَاسَةَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا، وَإِنْ لَمْ يَسْحَبَا اسْمَهُمَا سَأَسْحَبُ اسْمِي) فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ. فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَنْ أَمْرَتِكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَنْ أَمْرَتِ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتَطِيعَنَّ ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

وقال حضرة المصلح الموعود وهو يتحدث عن وفاة سيدنا عمر واستخلاف سيدنا عثمان رضي الله عنهما: لما أصيب عمر رضي الله عنه بالجراح وأدرك أن أجله قد حان، أوصى بستة أشخاص وأمرهم

باختيار أحد منهم خليفةً، وهؤلاء الستة هم: عثمان، علي، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام وطلحة رضي الله عنهم. كما ضمَّ إليهم عبد الله بن عمر للاستشارة فقط، وقال: إنه لن يُختار خليفةً. وأوصاهم عمر بأن عليهم جميعاً أن يتخذوا القرار خلال ثلاثة أيام. وعين صهيبيًا إمامًا للصلاة خلال الأيام الثلاثة، وأمر المقداد بن الأسود بالإشراف على تشاور هؤلاء الستة، وأمره أن يجبرهم على الاجتماع في مكان واتخاذ القرار، وأن يحرس المكان بنفسه حاملاً سيفه. وقال عمر رضي الله عنه: من اتفق عليه أكثرهم فليبايعه الناس، ومن رفض فليقتل. وإذا كان لكل من الطرفين ثلاثة أصوات فمن يصوت له عبد الله بن عمر فهو الخليفة، وإذا لم يرضوا بقراره فمن صوت له عبد الرحمن بن عوف فهو الخليفة. فاجتمع خمسة منهم للاستشارة، إذ لم يكن طلحة في المدينة في ذلك الوقت، ولم يصلوا إلى نتيجة. وبعد نقاش طويل قال عبد الرحمن بن عوف: حسناً، من الذي يريد منكم أن يسحب اسمه؟ فظل الجميع صامتين. فقال عبد الرحمن بن عوف: أنا أسحب اسمي قبل الجميع. ثم قال عثمان: أنا أسحب اسمي. ثم سحب الاثنان الآخران اسمهما، وظلَّ علي صامتاً، ثم في الأخير أخذ من عبد الرحمن بن عوف عهداً بعدم الانحياز لأحد عند أخذ القرار، فأعطاهم عبد الرحمن موثقاً، وصار الأمر كله في يده. ثم ظلَّ عبد الرحمن بن عوف يزور بيوت المدينة بيتاً بيتاً ثلاثة أيام ويسأل الرجال والنساء ممن يرضون بخلافته، فرضي الجميع بخلافة عثمان، فحكَّم عبد الرحمن لصالح عثمان، فصار خليفةً.

وقال ابن سعد: بويع عثمان ابن عفان رضي الله عنه يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين.

وعن ابن سبرة قال: قال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان: استخلفنا خير من بقي ولم نقصر في هذا الانتخاب.

وهناك رواية عن أول خطاب ألقاه سيدنا عثمان رضي الله عنه بعد انتخابه خليفة، فعن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أول مركب صعّب، وإن بعد اليوم أياماً. وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها. (أي سأخطب اليوم خطاباً مختصراً ولكن ستأتي أيام سأخطب فيها خطاباً أفضل. ثم قال) وما كنا خطباء، وسيعلمنا الله (أي الخطابة).

عن بدر بن عثمان، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: لما بايع أهل الشورى عثمانَ خرج وهو أشدهم كآبةً، فأتى منبرَ النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنكم في دار قُلعة (في دار ستغادرونها)، وفي بقية أعمار، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فقد أتيتم صَبْحَتكم أو مُسَيِّتكم (أي أن الموت مفاجئكم في أي وقت صباحاً أو مساءً). ألا إن الدنيا طُويتُ على الغرور، فلا تُغرِّنكم الحياة الدنيا ولا يُغرِّنكم بالله الغرورُ (أي الشيطانُ الذي هو كثير الخداع).

واعتبروا بمن مضى، ثم شدوا ولا تغفلوا، فإنه (أي الله تعالى) لا يغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، وأطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ولذي هو خير، فقال عز وجل: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدراً." (الكهف ٤٦). وأقبل الناس يُبايعونه.

أذكر الآن الفتوحات التي تمت في عهد خلافة عثمان رضي الله عنه. لقد منَّ الله على المسلمين في خلافة عثمان رضي الله عنه بالفتوحات والانتصارات التالية. فتح أفريقيا، أي الجزائر والمغرب وأولى التحركات والحملات لفتح الأندلس، وفتح أسبانيا في العام الـ ٢٧، وفتح قبرص في العام الـ ٢٨، وفتح طبرستان في العام الـ ٣٠، وفتح ذات الصواري وأرمينيا وخراسان في العام الـ ٣١، أما الزحف إلى بلاد الروم، وفتح مرو والروس وطالقان وخرياب وجوزجان وطخارستان ومعركة بلخراد فكانت في العام الـ ٣٢ من الهجرة. كما تم وصول الإسلام إلى بلاد الهند في عهد عثمان رضي الله عنه.

وفى ما يلي شيء من تفصيل هذه المهمات الحربية والفتوحات: في العام الـ ٢٧ الهجري بعث سيدنا عثمان عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنهما أميراً على جيش قوامه عشرة آلاف محارب إلى أفريقيا أي مناطق الجزائر والمغرب، ففتحها الله للمسلمين. وفي السنة الـ ٢٧ الهجرية كانت حملة الأندلس حيث بعث سيدنا عثمان رضي الله عنه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري.

وتقدم عقبة بن نافع بن عبد القيس من أفريقيا إلى أطراف الأندلس، فكتب الله للمسلمين الفتح. وفي السنة الـ ٢٨ الهجرية كان فتح قبرص. قال أبو محشر أن فتح قبرص كان في الـ ٣٣ من الهجرة، ويرى البعض أن وقعة قبرص كانت في العام الـ ٢٧ الهجري، وورد في تاريخ الطبري والبداية والنهاية أنها وقعت في العام الـ ٢٨ الهجري.

وحضر هذه المعركة من الصحابة أبو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بن ملحان، والمقداد، وأبو الدرداء وشداد بن عوف رضي الله عنهم.

وبلاد قبرص جزيرة تقع غربي بلاد الشام، تكثر فيها البساتين والمناجم. فُتحت قبرص على يد الأمير معاوية بإذنٍ وأمرٍ من سيدنا عثمان رضي الله عنه في عهد خلافته. شاركت في معركة قبرص أم حرام بن ملحان رضي الله عنها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بشرها بالاستشهاد. وعندما كانت راجعة من هذه الواقعة جيء براحلتها فلما ركبتها سقطت عنها وكسر عنقها، فماتت رضي الله عنها.

سيستمر ذكر عثمان فيما بعد إن شاء الله. واليوم أيضا ألفت أنظاركم إلى الاستمرار في الدعاء للأحمدين في باكستان بأن يحسن الله تعالى أوضاعهم، وأن يوفقهم أيضا للدعاء وإصلاح أحوالهم وتقوية صلتهم بالله تعالى، وأن يبدل الله أيام الظلام هذه إلى الأنوار، حتى نرى الأحمدين هنالك أيضا يؤدون واجباتهم الدينية في حرية.